

الشباب والمشاركة السياسية من منظور التنمية كصنو للحرية

محمد أحمد محمود أبو عبده *

مقدمة ضرورية:

تهدف هذه الورقة للإسهام في صياغة إطار مفاهيمي عام لتناول قضايا مشاركة الشباب، باعتبار أن عملية توسيع حريات البشر الغاية الأساسية للتنمية والوسيلة الرئيسية في تحقيق التنمية المرغوبة. ويمكن فهم "الغاية الأساسية" على أنه الدور البنوي (الإنشائي) للحرية في عملية التنمية كما يمكن فهم "الوسيلة الرئيسية" على أنه الدور الأداتي (الوسائلي) للحرية في عملية التنمية. ويُعنى الدور البنوي بأهمية الحريات الحقيقية في إثراء حياة البشر؛ وتشتمل هذه الحريات على المقدرات الأولية لتفادي مختلف أنواع الحرمان (الجوع، وسوء التغذية، وإعتلال الصحة، والوفاة المبكرة) والاستمتاع بمختلف أنواع الحريات المرتبطة بالمعرفة والتعليم والمشاركة السياسية. وفق هذا المنظور، تعتبر مسألة المشاركة السياسية للشباب قضية بنائية في التنمية بتعريفها الواسع والعريض كتوسيع للحريات الحقيقية التي يتمتع بها البشر¹. والسمة الديمغرافية للسودان تعرفنا بأن الفئة العمرية الشابة هي الغالبة، حيث أنها، بحسب الإحصاءات، تبلغ 43%، وتلك السمة تمثل ضغوط ديمغرافية من حيث تمظهراتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السالبة، وتمثل ميزة تفضيلية وفرصة تنموية بالإتجاه الموجب لذات التمظهرات، ويتجاوز مثل هذا المنظور الذي يركز على حريات الإنسان المقاربات الضيقة للتنمية كتلك التي تعتبر التنمية على أنها نمو الناتج القومي الإجمالي، أو أنها إزدياد متوسط دخل الفرد، أو أنها التصنيع، أو أنها التقدم التقني، أو أنها التحديث الإجتماعي. وعلى الرغم من أن بعض هذه المقاربات تمثل وسائل لتوسيع حريات البشر، إلا أن الحريات تعتمد على محددات أخرى كالترتيبات الإجتماعية لتوفير خدمات الصحة والتعليم، والحقوق السياسية والمدنية التي تهيئ الفرص للمشاركة في الجدل حول



القضايا العامة ومساءلة أولي الأمر. تتأتى الأهمية المحورية للحرية في عملية التنمية من مصدرين: الأول يُعنى بتقييم أداء السجل التنموي بمعنى أن التقدم الذي يتم إحرازه من خلال العملية التنموية لا بد وأن يتم تقييمه بالنظر إلى ما إذا كانت الحريات التي يتمتع بها الناس قد تم تعضيدها وتوسيعها. والمصدر الثاني يُعنى بكفاءة الأداء التنموي بمعنى أن كل تقدم يُحرز في مجال التنمية لا بد وأن يكون قد أرتكز على التفاعل الحر بواسطة البشر وإشراكهم في إحراز التقدم المعني كشركاء، وليس كأطراف مستقبلية لنتائج البرامج التنموية التي تطبق عليهم بواسطة طرف آخر. ويلاحظ في هذا الصدد أن فائدة الثروة تكمن في أنها تمكننا من القيام بعدد من الأفعال ومن ثم تحقيق عدد من الحريات. إلا أن هذه العلاقة ليست إستقصائية، بمعنى أن هنالك مؤثرات أخرى في حياة الأفراد – الإقتصادية، والحرمان الإجتماعي، وإهمال الخدمات العامة ومظاهر القمع بواسطة أجهزة الدول – ليست منتظمة، بمعنى أن وقع الثروة يتباين مع المؤثرات الأخرى. ومن ثم، فإن الإطار المفاهيمي الملائم للتنمية لا بد وأن يتعدى عملية تراكم الثروة لينظر إلى أبعاد حياتية مختلفة تهم الناس ويثمنها الناس. تركز الورقة على محدد مهم هو الحقوق السياسية والمدنية. يظل الهدف الرئيس من هذه الورقة هو العمل على بعث المعرفة وأساليب التفكير الجماعي التي تجد الحلول الجماعية وليس الفردية الضيقة.

المشاركة السياسية للشباب في السودان: مقاربة جديدة

ينطوي هذا الجزء من الورقة على مقاربات دالة للمشاركة السياسية بواقع أنها عملية توسيع للحريات السياسية للشباب السوداني، بمعناها العريض، بما في ذلك الحقوق المدنية، تتعلق بالفرص المتاحة للناس ليقرروا من سيحكمهم وعلى أي مبادئ، وليراقبوا وينتقدوا ويحاسبوا السلطات، وليعبروا عن آرائهم من خلال صحافة حرة، وليقرروا الانضمام لمختلف الأحزاب السياسية. وتشتمل الحريات السياسية على الإستحقاقات المتوفرة في النظم الديمقراطية بمعناها الواسع بما في ذلك فرص السجال السياسي والمعارضة والنقد وحرية



المشاركة السياسية. ينطوي مفهوم الحرية، في آن معاً، على "العمليات" التي تسمح بحرية اتخاذ القرار وفعل الأشياء وعلى "الفرص الواقعية" التي تتوفر للناس، كل حسب ظروفه الشخصية والإجتماعية. وينشأ "عدم الحرية" عن طريق عدم كفاية العمليات (على سبيل المثال، الإخلال بفرص الانتخاب الحر والتصويت) أو من خلال عدم كفاية الفرص التي يتوفر عليها الأفراد لتحقيق ما يودون تحقيقه حتى ولو كان على مستوى الإحتياجات الأساسية (بما في ذلك الفرص الأولية كالمقدرة على تفاذي الوفاة المبكرة أو عدم التعرض للجوع القسري).

أ- تهارقا القائد الشاب ومجد كوش:

"كان تهارقا(690-664 ق.م) أحد أبناء بيّا وغالباً ما كان شقيقاً لـ شبتاكا. طلب شبتاكا من تهارقا تولي قيادة الجيش وهو لازال في سن العشرين. كان تهارقا محارباً عظيماً وخاض غمار العديد من المعارك ضد الآشوريين. عندما توفي شبتاكا، أصبح تهارقا ملكاً وتم تتويجه في مصر. وقد كتب أعداؤه الآشوريون عنه أيضاً، وذكر مرتين في الكتاب المقدس الذي سماه ترهاقا. أمر تهارقا بتشبيد العديد من المشروعات، وأعاد مجدداً بناء العديد من المعابد. انشغال تهارقا بالانشطات المدنية وتمكن من تشبيد الكثير من المعابد في كل من كوش ومصر كما لم يتسن لأسلافه القيام به. تفاصيل تلك الأعمال المعمارية الهائلة لن نخوض فيها حالياً. لكن، نقول أنه قياساً بحجم الهدايا والهبات التي قدمها تهارقا لمعبد آمون في كوة، وقياساً بأعمال امتدت حدود مملكة نبتة في عهد تهارقا جنوباً حتى مكان يقال له رتيهو قابت. وفي الشمال حتى مكان في آسيا يقال له كيج حور، ولازال الموقع الفعلي للمكانين غير محدد. في بداية عهده بلغت المملكة أوج ازدهارها وقوتها، ويحتمل أن تكون أعمال صهر الحديد في مروى (كبوشية الحالية) قد بدأت في أيامه حيث فرضت ظروف



الصراع العسكري المستمر مع الإمبراطورية الآشورية العمل على تطوير صناعة الأسلحة.

قصدت من هذا المقتطف التاريخي الطويل أبراز المكون الحضاري السوداني، من حيث هو حجر أساس في صياغة وتأسيس مفهوم مشاركة الشباب في بناء الحضارة السودانية، كما وأن التأسيس التاريخي للتنمية في السودان واجب مقدم للباحثين والمهتمين ويرتبط جوهرياً بضرورات معرفية ملحة. ولأغراض هذه الورقة، نكتفي بالإشارة لحمولته المعرفية الدالة.

ب – المشاركة السياسية للشباب في الدولة السودانية العهد الحديث ثورة 1924، أو مطلب الأمة:

تعتبر ثورة 1924 من وجهة نظر كثير من المؤرخين والباحثين، السودانيون وغير السودانيون، الثورة القومية الأولى والحقيقية التي أسست لمفهوم المواطنة بمعناه الواسع، حيث أنها اتسمت من حيث قيادتها بتنوع يعكس التعدد الإثني والثقافي للأمة السودانية، ومفهوم الأمة ظهر لأول مره في سياق معارك التحرر من خلال المقال الشهير لقائد ومفكر ثورة 1924 على عبد اللطيف في العام 1922، "مطلب الأمة"، وكان قد سبقه المنشور السري الذي كتبه القائد والمفكر الآخر للثورة، عبيد حاج الامين، بعنوان "وطني ناصح أمين"، والذي وزع في العام 1920، وهي كانت المواجهة المنظمة الحقيقية للاستعمار في ذلك الوقت. وقد كشفت عن الخطاب العنصري الكولونيالي في أقبح صورته، وقد انصب مجهود وإسهام أدوارد سعيد الرائد في نظرية ما بعد الكولونيالية إلى عملية الإنتاج النصي والخطابي للمعاني الكولونيالية وتوابعها أو إستطراداتها، بتعبير ميشيل فوكو، وإلى كيفية تعزيز الهيمنة الكولونيالية، تمحور الخطاب الكولونيالي القامع لثورة³ 1924، بوصف قادة الثورة بأنهم من العناصر الزنجية المنبثقة⁴ *negriod but detribalised people*، وعرفوا تلك العناصر



بأنهم الزوج الذين تحرروا من الرق، والذين تعود جذورهم الى قبائل جنوب السودان وجبال النوبة، ولكنهم استقروا في مجتمع شمال السودان بعد أن فقدوا جذورهم القبلية الأصلية من طول اغترابهم في الشمال، فلا روابط قبلية ولا تقاليد ولا مهن يركنون إليها، وقد لعب علي عبداللطيف وعبد الفضيل أماظ وزين العابدين عبدالتام الدور القيادي في هذه الثورة. وثورة 1924 هي واحدة من أهم مراحل تطور المؤسسة الساسية السودانية والمجتمع المدني بمعناه العريض، وهي ثورة شبابية بأمتياز، وصفهم القدال بأنهم "كانوا شباباً يمتلئون زهواً وتنفتح في أشراعتهم رياح رومانسية عاتية". وأضيف لوصف عالما القدال وأنهم شباب بذروا بذرة الثورة التي أثمرت استقلال السودان من نير الاستعمار. وكما المفكر والزعيم جون قرنق، إنتبه -ومثله من ينتبه- للدور التاريخي لثورة 1924 حيث ما أنفك يردد أن الحركة الشعبيه تنمة لما ابتدأته ثورة 1924.

ج- ثورة أكتوبر 64، الحدث الفلسفي، أو في حوار عبدالخالق محجوب وجاك دريدا

يصف المفكر المرموق جاك دريدا في حوار مع فرانسوا إوالد⁵ ثورة الشباب والطلاب التي انتظمت العالم، والغرب على وجه الخصوص، في مايو من العام 1968، بالحدث الفلسفي، حيث يقول: "بلاريب، هو بلا شك واحد من تلك الأحداث الفلسفية التي يمكن التعرف عليها بفضل الأحداث التي لا تكتسي شكل الأثر أو البحث لكنها تحمل وتتضمن دائماً هذه الأحداث الفلسفية التي يمكن التعرف عليها بفضل عناوين أو أسماء كتاب. تمثل المساءلة العملية لوضع اجتماعي أو خطابي، كان للبعض مصلحة في تطبيعه وتجريده من صفته التاريخية، بزعرته أو المشاركة



في تغييره، وكذلك طرح المسألة المتعلقة بتاريخانية تلك البنى حدثاً أو وعداً بحدثٍ فلسفي، علمنا بالأمر أو لم نعلم، شئنا أو أبينا فإن ذلك يغير الأشياء في الفلسفة، ومن الصعب تعقب المسافات والإنعكاسات، قد يستلزم الأمر أصنافاً وأدوات أخرى للتأريخ، وإذا لم نأخذ بعين الاعتبار سوى مظاهر الحدث الفلسفي الرائجة أكثر من غيرها، فإننا لم نعد نؤلف اليوم الكتب الفلسفية بنفس الطريقة إلا فيما شذّ. لم نعد ندرّس ونحدّث الطلاب ونتحدث معهم، خصوصاً مثلما كان ذلك فيما مضى. كما أنهم لا يتحدثون فيما بينهم بنفس الطريقة، لم يتغير ذلك في يوم، في شهر، بل بلاشك في الموجة المكوّنه في العمق التي كأنما هي تجمّعت في ذروة بروزها في مايو 68 في فرنسا وخارجها." انتهى حدث دريدا، يقابله ويناصه (من تناص) ويحاوره خطاب لمفكر مرموق وشاب، هو عبد الخالق محجوب (1927-1971)، لوصف ثورة أكتوبر 64. يقول عبد الخالق⁶: "إن الثورة واجهت الفئات التي تداولت الحكم منذ 1953 بالحقائق المذهلة التالية، أولاً: من الممكن أن تنشأ في السودان حركة سياسية مستقلة عن تلك الفئات التي تداولت الحكم مدنياً كان أو عسكرياً، والتي ظلت توجه الأحداث منذ الحرب العالمية؛ ثانياً: أن تكون هذه الحركة من الناحية الشعبية من منظمات مهنية ونقابية وجماعات سياسية لم يكن لها شأن كبير من قبل، ومن أبرزها الحزب الشيوعي؛ ثالثاً: أن تستطيع هذه الحركة نفس حكم قائم بطريقة مفاجئة للفئات ذات المصالح، ومن بينهم القادة السياسيون البرجوازيون، وأن تُشكل سلطة لا تنتمي لتلك الفئات؛ رابعاً: - وهو الأمر الخطير - أن يفصل جهاز الدولة عن السلطة الحاكمة وينضم إلى تلك القوى السياسية في عمل ثوري هو الإضراب السياسي. وكان هذا درساً قاسياً ارتجفت له الفئات الحاكمة والدوائر الاجتماعية من أصحاب المصالح والسلطة الدائمة." يقول عبد الخالق، بتأويل دريدا، أن ثورة أكتوبر 64 شكلت المساءلة العملية لوضع اجتماعي أو خطابي، كان للبعض مصلحة



في تطبيعته وتجريده من صفته التاريخية، بزعرته أو المشاركة في تغييره. من اللقية والفتوحات (بتعبير ابن عربي) المعرفية حقاً أن تعثر على هذا التناص⁷ المعرفي بين مفكرين بقامة عبد الخالق ودريدا. إذن، شكّلت أكتوبر 64 حدثاً فلسفياً مكتملاً، ولم يعد الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفلسفي في السودان كما كان عليه قبل أكتوبر 64، والتي سبقت ثورة الشباب والطلاب مايو 68، وحيث أن المد الثوري حينها في العالم كان زاخراً وحيماً وعميقاً، وكانت ثورة أكتوبر 64 منجزاً شبابياً طلابياً خالصاً، وكنا في السودان حينها شعباً متقدماً تقوده فئة هي الوحيدة القادرة على إحداث تنمية وتغيير حقيقيين وهم الشباب. بالضرورة، قدمت أكتوبر أهم انتصارين للسودانيين في القرن العشرين، حيث أنجزت مكاسب ملموسة لقضية المرأة بإعطائها حق التصويت ووسعت مشاركة الشباب في مسألة المشاركة السياسية بأن وسعت استطاعتهم ومقدرتهم الحقيقية في عملية صنع القرار حيث خفضت سن الناخب من 21 الى 18 سنة. عكست هذه الانتصارات واقع أن من أنتج هذا الحدث الفلسفي المهم، أكتوبر 64، هم النساء والشباب. صحيح أن ما تلا ذلك من نكوصية واختطاف لثورة مايو 68 أنتج بياناً معرفياً جديداً لما صار يعرف في الأدبيات بتيار ما بعد الحداثة، الناغم والمفكك لكل البنى السائدة بما فيها تلك التي شاركت في صناعة مايو 68، كما أن هذه النكوصية والاختطاف هو عينه ما حدث لثورة أكتوبر 64 وإن كانت أكتوبر قد أنجزت تغييراً سياسياً ملموساً على مستوى الدولة في السودان والبنى المؤسسية، فقد كان الانهيار الذي عقب الاختطاف والنكوص الذي حدث تحديداً على مستوى البنى المؤسسية بما فيها البرلمان والقضاء والجهاز التنفيذي، ولكن ومع ذلك تبقى أكتوبر 64 ومايو 68 حدثاً فلسفياً، يمثل المساءلة العملية لوضع اجتماعي أو خطابي، كان للبعض مصلحة في تطبيعته وتجريده من صفته التاريخية، بزعرته أو المشاركة في تغييره.



الشباب وإتفاقية السلام الشاملة

"تكون الأهداف الأشمل للتنمية الاقتصادية هي القضاء على الفقر وتحقيق أهداف ألفية التنمية وضمان التوزيع العادل للثروة وتقليص التفاوت في الدخل وتحقيق مستوى كريم من الحياة للمواطنين". الدستور الإنتقالي لجمهورية السودان لعام 2005.⁸

تنسق إتفاقية السلام الشامل على مستواها النظري مع للتطورات النظرية والتطبيقية في مجال اقتصاديات التنمية والتي أفضت إلى أن يتبنى المجتمع الدولي، ممثلاً في قمة الألفية التي انعقدت في سبتمبر 2000 في نيويورك، "الأهداف الإنمائية للألفية". والذي قد جاء نتيجة لتراكم معرفي في مجال اقتصاديات التنمية أفضى إلى تعريف عريض للتنمية على أنها عملية "لتوسيع الحريات الحقيقية التي يتمتع بها البشر"، أمارتيا سن. أبعد من ذلك فقد شاركت الامم المتحدة بجميع وكالاتها، والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي⁹، في جميع مراحل صياغة إتفاقية السلام الشامل، وقد كانت الإتفاقية في ذات الوقت الذي كان العالم قد وعي وتعلم من عقود الفشل المتعاقبة للتنمية في بلدان الجنوب عموماً، التي ومن نتائجها المباشرة إنتشار الفقر وعدم الاستقرار السياسي والحروب والصراعات الداخلية، رغم أن الطريق مازال طويلاً ووعراً بالنسبة لبلدان الجنوب من الوصول للتنمية المستدامة، وبالرغم من أن العلاقة بين الشمال والجنوب مختلة ومجحفة للجنوب ومكرسة لهجمنة (hegemony) الشمال واستغلاله التاريخي للجنوب. لكن مفهوم التنمية كعملية "لتوسع الحريات الحقيقية التي يتمتع بها البشر" خطوة للإنسانية في الاتجاه الصحيح.

هنالك فقرة وردت في استهلال إتفاقية السلام الشامل تصلح أن تحكم رؤيتنا لهذه الإتفاقية في هذا الجزء من الورقة: "إن التنفيذ الناجح لاتفاق السلام الشامل سوف يقدم نموذجاً للحكم الراشد في السودان مما يساعد على إقامة أساس راسخ للحفاظ على السلم وجعل الوحدة أمراً جاذباً وعلى ذلك يتعهدان [الطرفان] بالتمسك بصورة كاملة بنص وروح إتفاقية السلام الشامل ضماناً للسلام الدائم والأمن للجميع والعدالة والمساواة في السودان".

مؤشرات عامة¹⁰ تؤكد دور الشباب كقطاع عريض في إنجاز السلام الشامل والتحول الديمقراطي والتنمية المستدامة وجعل الوحدة خياراً جاذباً. تلك هي الخلاصات النهائية التي



أكدتها اتفاقية السلام ومن ثم دستور السودان الانتقالي، وذلك هو التحدي الأساسي أمام كل الشعب السوداني بكل قطاعاته سيما الشباب بما يتوفر لديهم من خصائص وسمات هامة ترشحهم للقيام بالدور الرئيسي لإنجاز هذا التغيير والتقدم.

1- بناء السلام: هي المهمة الأساسية التي تتقاطع معها كل المهام وهي تبدأ بترسيخ إتفاقية وتوطيد مفاهيم التعايش السلمي والعدل، والشباب هم أكثر المعنيين بالمهمة باعتبار أن قطاعاً كبيراً منهم ولد وترعرع في ظل الحرب وثقافتها الشائنة.

2- التحول الديمقراطي: يعد التحول الديمقراطي شرطاً جوهرياً لإنجاح تنفيذ إتفاقية السلام الشامل، فهو يشكل البيئة المناسبة والوحيدة، لتتمكن فيه كافة القطاعات من المشاركة وتعبّر فيه عن رأيها، وتقوم بدورها بفاعلية وكفاءة. بدون إنجازها كاملاً، سيفقد الاتفاق الإجماع المطلوب واللازم لكل مرحلة من مراحله، الأمر الذي يزيد من عزوف الشباب وموقفهم غير الإيجابي في دعم بناء السلام، في ظل قوانين تقيد حريتهم وتنتهك حقوقهم الأساسية في التعبير، وبالأخير تخلق بيئة غير محفزة للتفاعل والمشاركة.

3- التنمية المستدامة: إحدى المهام التي أكدت عليها الاتفاقية باعتبار أنها مرتبطة عضويًا ببناء السلام والتحول الديمقراطي، والتنمية كعملية تفترض المشاركة الفاعلة لكافة قطاعات المجتمع، والشباب يلعب الدور الحاسم والمرجح لإحداث التنمية في ظل بيئة السلام والديمقراطية.

4- تعزيز الوحدة: معلوم أنه عند نهاية الفترة الانتقالية والتي مدتها ستة سنوات يجري استفتاء عن طريق التصويت لاعتماد نظام الحكم الذي تم وضعه بموجب الاتفاقية أو التصويت للانفصال. هذا يعني أنه عندما أقر الطرفان حق تقرير المصير لجنوب السودان، أقرّا ضمناً أن نجاح تنفيذ الاتفاقية يقرب خيار الوحدة، وفشلها، وبـنفس القدر يجعل الانفصال أمراً ممكن الحدوث.

نقرأ في المبادئ المتفق عليها في بروتوكول مشاكوس 1-5-5 (تخطيط وتنفيذ اتفاقية السلام بغية جعل وحدة السودان خياراً جذاباً، وبصفة خاصة لشعب جنوب السودان) لجعل الوحدة



خياراً جذاباً ولتعزيزها، يستلزم ذلك تخطيطاً وتنفيذاً جماعياً وابتداع كافة الأشكال والأطر التي تمكن الجميع من المشاركة لتمتين الوحدة وإبعاد شبح الانفصال الذي يغذيه التنفيذ غير الخلاق لاتفاقية السلام. وتلك هي المسؤولية التاريخية للجميع، لأنه سيقدر مصير الجميع. وليس أكثر أهمية للشباب من التصدي لهذه المهمة لأنها ستحدد معالم المستقبل لهذا البلد والذي هو بالضرورة مستقبلهم.

المشاركة والشباب والانتخابات

تعتبر قوانين الانتخابات مثلاً جيداً للمؤسسة، ويمكن التخطيط ومن ثم قياس المشاركة السياسية للشباب في الانتخابات. أجريت في السودان خمسة انتخابات برلمانية في ظل الأنظمة الديمقراطية في الأعوام: 65، 58، 53، 68، 85، انظر الجدول.

جدول 1 يوضح الانتخابات البرلمانية المختلفة التي أجريت في السودان

السنوات	عدد الدوائر	(عدد السكان (مليون)	عدد الناخبين	نسبة التصويت
انتخابات 1953	97	8	1,600,000	80%
انتخابات 1958	173	10	1,800,000	67%
انتخابات 1965	233	11	2,000,000	56%
انتخابات 1968	214	12	3,000,000	54%
انتخابات 1986	301	20	8,000,000	69%
انتخابات 2010	450	40	20,000,000	???

المصدر: قراءة في توزيع الدوائر الانتخابية

ماهي الدروس التي يمكن استخلاصها من التجارب السابقة؟ وكما يقول القدال المؤرخ السياسي المرموق: "التجارب السابقة إن لم تترسب في الوعي الاجتماعي وتضيء السبل، تصبح حياة الإنسان بلا بعد تاريخي. إن الإنسان حيوان ذو تاريخ، والوعي التاريخي والحس التاريخي هما اللذان يفرقان بينه وبين الحيوانات الأخرى التي ليس لها تاريخ وتظل



تجتز تجاربها السابقة وتكررها وتعيدها"، والانتخابات في حد ذاتها ليست حلاً، وإنما وسيلة تمهد وتفتح الطريق لإيجاد الحلول التي تواجه المجتمع."

جدول 2 يوضح اهم الإنجازات السياسية لكل برلمان منتخب

البرلمان	الإنجاز	ملاحظات
برلمان 54	<ul style="list-style-type: none"> • أرسى قواعد النظام الذي يقوم على تداول السلطة سلمياً • السودانه والجلء • إعلان الاستقلال ديسمبر 1955 	يعد من أنجح البرلمانات في تاريخ البلد
برلمان 58	<ul style="list-style-type: none"> • ظهور مؤسسات المجتمع المدني وتبلور دورها 	
برلمان 65	<ul style="list-style-type: none"> • أول امرأة تدخل البرلمان • وضع الحدود بين السلطات المختلفة (التشريعيه، القضائيه، التنفيذيه) 	<ul style="list-style-type: none"> • أعطى قانون الانتخابات للمرة الأولى في تاريخ البلاد حق التصويت للمرأة • خفضت سن الانتخاب من 21 سنة إلى 18 سنة، أي توسيع أكبر لمشاركة الشباب صناع ثورة أكتوبر

المصدر:صمم الجدول لأغراض هذه الورقة

نخلص إلى أن تجارب الديمقراطية والانتخابات التي أجريت في السودان على قلتها وقصر عمرها، إلا أنها حققت مكتسبات مهمة على صعيد القوانين، وقضايا النوع، وتوسيع فرص المشاركة السياسية، ومثلت تجارب سودانية خالصة في عملة التداول السلمي للسلطة، وإن استمرت بنفس الوتيرة واستقرت، لكفت البلاد الشرور وتكلفة الفرصة البديلة وسياسات حافة الهاوية Brinksmanship، الذي يدار بها شأن السودان الآن، والحروب الأهلية التي ما أن تخدم، إلا وتشتعل من جديد.



محددات مشاركة الشباب: منبر للنقاش:

قصدت الورقة هنا وضع إطار عام يصلح لأن يكون منبراً للنقاش والحوار التنموي البناء، ينعكس فيه عدد من التحديات التنموية الأشد إلحاحاً، الضرورية للمشاركة السياسية، بواقع أنها عملية توسيع الحريات السياسية للشباب السوداني، بمعناها العريض، بما في ذلك الحقوق المدنية، تتعلق بالفرص المتاحة للناس ليقرروا من سيحكمهم وعلى أي مبادئ، وليراقبوا وينتقدوا ويحاسبوا السلطات، وليعبروا عن آرائهم من خلال صحافة حرة، وليقرروا الانضمام لمختلف الأحزاب السياسية. وتشتمل الحريات السياسية على الإستحقاقات المتوفرة في النظم الديموقراطية بمعناها الواسع، بما في ذلك فرص السجال السياسي والمعارضة والنقد وحرية المشاركة السياسية، والمنبر بذلك يمكن أن يلعب دوراً مهماً في تشكيل الأولويات التنموية وتأطيرها في السودان.

محددات مشاركة الشباب

تتظر هذه الورقة الى محددات المشاركة السياسية للشباب من واقع مفهوم أمن الإنسان الذي تبنته الأمم المتحدة واسترشد به تقرير التنمية الإنسانية لعام 2009، ويعرّف أمن الإنسان بأنه "تحرير الإنسان من التهديدات الشديدة، والمنتشرة والممتدة زمنياً وواسعة النطاق التي تتعرض لها حياته وحيته"¹¹. أمن الإنسان هو الركيزة الأساسية للتنمية البشرية، وبينما تُعنى التنمية البشرية بتوسيع قدرات الأفراد والفرص المتاحة لهم، يهتم أمن الإنسان من تمكين الشعوب من احتواء أو تجنب المخاطر التي تهدد حياتهم وسبل معيشتهم وكرامتهم، وذلك ما أوجزه امارتيا سن في اصطلاح "التوسع مع الإنصاف"، التنمية البشرية و"الانتكاس مع الأمن" أمن الإنسان، وضعف مقدرة الدولة على ضمان الحريات والحقوق لمواطنيها، جراء شيوع الفقر والبطالة والحروب الأهلية والصراعات الأثنية وقمع الدولة، ويعد الانشغال بأمن الإنسان وتوطيده هو ما يعطي الدولة شرعيتها، وهو ما يجعل التنمية بمعناها العريض أمراً من الممكن تحقيقه. ويؤدي انعدام الأمن والمنتشر بوطأة شديدة في السودان والذي يولد آثاراً تمس الناس بشكل ملموس وفوري إلى تقويض التنمية البشرية من أساسها.



بما أن الدولة كيان مصطنع، وذلك واقع تحدده حدود الدولة، والتي غالباً ما تبدو حدوداً مستحدثة تضم جماعات أثنية ودينية ولغوية مختلفة دمجت في الدولة التي نشأت ما بعد الاستعمار، فالسودان إلى الآن لم يستطع أن يحقق انتقالاً سهلاً وسليماً نحو إطار جامع لكل المواطنين. بل أن تياراً أيديولوجياً مكرساً تنامي بهدف حجب التنوع وصهر التباين الثقافي واللغوي والديني تحت سلطة واحدة. ولم يطور السودان حكماً رشيداً، ومؤسسات تمثيلية قادرة على ضمان المشاركة المتوازنة لكافة الفئات وتحقيق العدالة في توزيع الثروة بين مختلف الجماعات.¹²

أكدت إتفاقية السلام الشامل، والتي ترجمت في دستور السودان الانتقالي، على مفهوم المواطنة كمفهوم معياري في إدارة التنوع الإثني والثقافي واللغوي. ولكن إلى الآن يواجه دستور الانتقال لجمهورية السودان تجاهلاً من قبل مؤسسة الدولة التي وضعت، ذلك من شرعية، وذلك في أن الدولة السودانية كمثل الحمار يحمل أسفارا، ولكن الدستور هو حق الشعب وهو الميثاق الذي يجب أن يبلور على أرض الواقع، لا أن يترك للمناورات والمماحكات الضيقة. نقول أن الدستور دون إرادة ينهم معناه وييهت ويصبح حبراً على ورق.

أ- الانهيار المؤسسي كمهدد لأمن الإنسان ومشاركة الشباب تعريف المؤسسات:

تعرف المؤسسات في الأدبيات التطبيقية للاقتصاد على أنها "القوانين التي تحكم اللعبة في المجتمع".¹³ بمعنى أنها كل القيود التي يتعارف عليها المجتمع لتحكم العلاقات التبادلية بين البشر مما يترتب عليه تشكيل هيكل الحوافز في التبادل بين البشر: سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. ويقصد بهيكل الحوافز تركيبة تكلفة المبادلات وضمن الاستمتاع بالعائد على النشاطات، من ضمن تفسيرات أخرى. على أساس هذا الفهم، تشتمل المؤسسات على كل القيود التي يبتدعها البشر لتشكل التفاعل بينهم. ويمكن للقيود أن تكون رسمية كالقوانين والتشريعات التي يسنها الناس، أو غير رسمية كالأعراف المجتمعية والتقاليد والأعراف.



ويلاحظ في صدد هذا التعريف أن الكلمة الحاسمة هي "القيود"، فعلى سبيل المثال تعتبر الدساتير وقوانين الانتخابات أمثلة جيدة "للمؤسسات"، بينما السياسات "الجيدة" التي يتم اختيارها بواسطة الحكام المستبدين لانعدام القيود على تصرفاتهم لا تعتبر "مؤسسات". كذلك يلاحظ – لأغراض التحليل – أن من أهم جوانب المؤسسات ديمومة القيود (استمرارية التطبيق) بمعنى اتصافها بعدم خضوعها للتغيرات السريعة والدورية. وعلى أساس هذا الفهم لما يقصد بالمؤسسات، توضح الأدبيات التطبيقية أنه يمكن التعرف على أربع مجموعات لقياس المؤسسات: مؤشر بيت الحرية، ومؤشر الدليل الدولي للمخاطر القطرية، ومؤشر الحاكمية، ومؤشر إدارة الحكم. تستخدم هذه الورقة المؤشر المركب للحاكمية.

جدول رقم 1: النوعية المؤسساتية في البلدان العربية ذات الدخل المنخفض في العام 1996

نوعية المؤسسات	ضبط الفساد	حكم القانون	النوعية التنظيمية	فاعلية الحكومة	الاستقرار السياسي	التمثيل والمساءلة	
	0.90	1.50	-1.53	-1.17	-1.97	-1.59	البلدان ذات الدخل المنخفض
	-	-					
	-0.82	-0.71	1.50	-0.40	جزر القمر
	..	0.88	-0.86	0.20	0.56	-0.95	موريتانيا
	-	-					
	1.74	2.10	-2.91	-1.77	-2.30	-1.91	الصومال
	-	-					
	1.13	1.63	-1.88	-1.49	-2.58	-1.95	السودان
	-	-					
	0.29	1.15	-0.44	-0.55	-1.15	-0.94	اليمن
	-	-					

المصدر: Kauffman, مؤشرات الحكم الخاصه بالبنك الدولي 2008

إشارة : التقديرات بين 2.5- و 2.5: كلما كانت اعلى كانت أفضل



جدول رقم 2: النوعية المؤسساتية في البلدان العربية ذات الدخل المنخفض العام 2007

نوعية المؤسسات	ضبط الفساد	حكم القانون	النوعية التنظيمية	فعالية الحكومة	الاستقرار السياسي	التمثيل والمساءلة	
	-1.42	-1.10	-1.40	-1.22	-1.25	-1.49	البلدان ذات الدخل المنخفض
	-0.95	-0.69	-0.93	-1.43	-1.80	-0.45	جزر القمر
	-0.54	-0.50	-0.60	-0.36	-0.68	-0.75	موريتانيا
	-2.41	-1.87	-2.64	-2.72	2.35	-1.89	الصومال
	-1.53	-1.25	-1.46	-1.25	-1.18	-1.73	السودان
	-0.97	-0.62	-0.94	-0.71	-1.02	-1.06	اليمن

المصدر: Kauffman، مؤشرات الحكم الخاصه بالبنك الدولي 2008

إشارة : التقديرات بين 2.5- و 2.5: كلما كانت اعلى كانت أفضل جدول 3: اتجاه الإصلاحات المؤسساتية في البلدان العربية

التغير في مؤشرات الحكم بين العامين 2007/1996

نوعية المؤسسات	ضبط الفساد	حكم القانون	النوعية التنظيمية	فعالية الحكومة	الاستقرار السياسي	التمثيل والمساءلة	
	0.02	-0.18	0.10	0.29	-0.09	0.09	البلدان ذات الدخل المنخفض
	-0.89	-0.61	-1.09	-0.41	جزر القمر
	-0.16	..	0.28	0.50	-0.88	0.20	موريتانيا
	-0.29	-0.13	-0.54	0.19	-0.58	0.02	الصومال
	-0.29	-0.12	0.17	0.63	0.31	0.22	السودان
	-0.22	-0.33	0.21	-0.27	-0.47	-0.12	اليمن



المصدر: حسابات تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2009/ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي استناداً إلى مؤشرات الحكم الخاصة بالبنك الدولي 2008

ملاحظة: تشير الفوارق الإيجابية إلى تحسّات في بعد الحكم في حين أن الفوارق السلبية ترمز إلى تدهور في هذا البعد. بما أن معدل التغيير المؤسّساتي في البلدان العربية سلبية، فلا دليل على أية تحسّات إجمالية في الحكم. في الواقع، شهدت الفترة الممتدة من 1996-2007، تراجعاً على الصعيد دون الإقليمي، يمكن استخلاص الاستنتاجات الآتية من الجدول 3: بالنسبة للبلدان ذات الدخل المنخفض، يمكن تحديد الإصلاح المؤسّساتي في فاعلية الحكومة والاستقرار السياسي وضبط الفساد حيث سُجل تراجع في فترة السنوات الإحدى عشرة موضوع الدراسة. يحتل السودان موقع متدني من حيث نوعية المؤسّسات، شأن حالة التدني العام في كل احصاءاته التنموية، وهو من أكثر الدول فقراً في العالم. والحال كهذه، ينعكس ذلك مباشرةً وفورياً في مشاركة الشباب في العمل العام بأعتبار أنه توجد نوعية للمؤسسة في السودان هي الأسوأ على المستوى الإقليمي والعالمي.

ب - الفقر والنزاعات المسلحة كمحدد لامن الانسان ومشاركة الشباب

تطورت منذ نهاية تسعينيات القرن الماضي أدبيات متخصصة في محاولة لتحديد أهم العوامل التي يمكن أن تفسر النزاعات المسلحة في عدد كبير من دول العالم، خصوصاً الدول النامية وبالأخص الدول الأفريقية جنوب الصحراء. هذا وقد اتفقت الأدبيات على اعتبار الحروب الأهلية على أنها تمثل أعلى أنواع النزاع المسلح، واتفقت على تعريف الحرب الأهلية على أنها "نزاع داخلي تكون الحكومة طرفاً فيه، ويترتب عليه عدد وفيات مرتبطة بالمعارك تبلغ ألف حالة على أقل تقدير، على أن تكون وفيات الطرف الأقوى 5 في المائة من إجمالي الوفيات على أقل تقدير"¹⁴.

على أساس من مثل هذه الصياغات الاقتصادية النظرية، تطورت أدبيات تطبيقية متخصصة هدفت إلى استكشاف العوامل المسببة للنزاع والعوامل التي تتسبب في العودة إلى النزاع.



تعتبر دراسة كولبير وهوفلر ومسودربوم (2006) من أهم الدراسات التي حاولت استكشاف العوامل التي تتسبب في ارتفاع احتمال عودة القطر إلى الحرب الأهلية بعد توقيع لاتفاقية سلام. هذا وقد تم التركيز على تقدير دالة لاحتمال انهيار السلام خلال الحقبة الأولى من التوقيع على اتفاقية السلام. ويلاحظ في هذا الصدد أنه من 74 حالة لما بعد النزاع رصدت 33 حالة للعودة للنزاع مما يعني متوسط احتمال العودة للنزاع ما بعد السلام يبلغ 0.45. كذلك الحال، تمت ملاحظة أنه بالتركيز على الحقبة الأولى من التوقيع على اتفاقية السلام بلغ متوسط احتمال العودة للنزاع حوالي 0.42 وهو متوسط يمكن من تقدير تأثير مختلف العوامل. وكما كان عليه حال تقدير دالة احتمال اندلاع الحرب، اشتملت المجموعات العريضة للعوامل المفسرة لاحتمال انهيار عملية السلام خلال الحقبة الأولى لتوقيع اتفاقية السلام على تلك الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والعسكرية. يمكن تلخيص النتائج التي تمّ التوصل إليها كما أورد علي عبد القادر فيما يلي:

العوامل الاقتصادية : يتوقع أن ينخفض احتمال انهيار عملية السلام كلما ارتفع مستوى الدخل الحقيقي للفرد وكلما ارتفع معدل النمو الاقتصادي.
العوامل السياسية: يتوقع أن ينخفض احتمال انهيار عملية السلام كلما منح النظام السياسي نحو الاستبداد (بعيداً عن الديمقراطية)، ولكن أيضاً كلما كانت هنالك انتخابات ¹⁵ .
العوامل الاجتماعية : يتوقع أن ينخفض احتمال انهيار عملية السلام كلما ارتفعت نسبة مواطني القطر في المهجر الأمريكي لإجمالي سكان القطر.
العوامل العسكرية : يتوقع أن ينخفض احتمال انهيار عملية السلام كلما ارتفعت نفقات حفظ السلام الدولية.

ويلاحظ علي عبد القادر أن التفسير الاقتصادي للحروب الأهلية، خصوصاً في بداياته، يركز على أهمية فهم عامل الدخل الحقيقي للفرد على أنه مؤشر للفقر مما يعني أنه يمكن فهم معدل نمو دخل الفرد على أنه مؤشر لسرعة الانتشال من حالة الفقر.



في إطار مثل هذا الفهم، يمكن الربط بطريقة مباشرة بين استراتيجية للتنمية تتبنى القضاء على الفقر في المدى الزمني القصير وبين استراتيجية تجنب الدول الوقوع في حالة حرب أهلية أو العودة للحرب الأهلية بعد توقيع اتفاقية السلام، وذلك عن طريق الدور الذي تلعبه ظاهرة الفقر في اندلاع النزاع والعودة إليه بعد السلام. وهناك منظورين للفقر، فقر الدخل الذي يُعرف بـ"مقياس ما يتوفر للإنسان من سلع وخدمات متمثلاً في الانفاق الاستهلاكي الحقيقي للفرد" والثاني هو الفقر الإنساني الذي يعرف بمقياس الدخل وبأبعاد أخرى ذات قيمة حياتية مثل التعليم والصحة والحرية السياسية¹⁶. هذا، وفي حالة السودان، فإن الفقر في السودان هو فقر إنساني بالدرجة الأولى مما تنعكس آثاره بالعموم على عدم توسع الحرية، وبالتالي انعدام المشاركة السياسية، وفي أحسن الحالات ضعفها وعدم جدواها. بناء على هذه النظرة الأشمل، يمكن أن يعد أمن الإنسان هو الركيزة الأساسية للتنمية البشرية، وفيما تُعنى التنمية البشرية بتوسيع قدرات الأفراد والفرص المتاحة لهم، يهتم أمن الإنسان بتمكين الشعوب من احتواء المخاطر التي تهدد حياتهم وسبل معيشتهم وكرامتهم أو تجنبها. التنمية البشرية بطبيعتها لا تقف عند حدود معينة، فهي تتسع لتشمل مختلف أنواع أشكال التطلعات في أوضاع مختلفة ومع إمكانات متباينة. ولكن يبقى أنه في الأوضاع التي تكتنفها الأخطار الجسيمة كالسودان، ينبغي أن يتمتع الناس كافة بحد أدنى من الأمن لحماية أرواحهم وسبل معيشتهم بحيث يشكل ذلك نقطة الانطلاق إلى الأمام.

خاتمة

تتجح هذه الورقة اذا وضعت ملامح لإطار مفاهيمي عام لمسألة مشاركة الشباب السياسية من منظور التنمية كصنو للحرية، ويتجاوز مثل هذا المنظور الذي يركز على حريات الإنسان المقاربات الضيقة للتنمية كتلك التي تعتبر التنمية على أنها نمو الناتج القومي الإجمالي، أو أنها إزدياد متوسط دخل الفرد، أو أنها التصنيع أو أنها التقدم التقني أو أنها التحديث الإجتماعي. وعلى الرغم من أن بعض هذه المقاربات تمثل وسائل لتوسيع حريات



البشر، إلا أن الحريات تعتمد على محددات أخرى كالترتيبات الاجتماعية لتوفير خدمات الصحة والتعليم، والحقوق السياسية والمدنية التي تهيئ الفرص للمشاركة في الجدل حول القضايا العامة ومساءلة أولي الأمر. كما أنها تكون أدركت غايتها إذا ربطت الشباب في السودان بالحوار النقدي الإنساني العالمي حول قضية الحرية كأساس للتنمية والرفاه الاجتماعي.

المراجع العربية المختارة (الأوراق والمراجع المثبتة في الهامش غير مذكورة هنا)

- 1- تيم نبلوك (1989): صراع السلطة والثورة في السودان، ترجمة الفاتح التجاني_ محمد علي جادين الخرطوم دار عزه للنشر والتوزيع.
- 2- تقرير التنمية الإنسانية العربية برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2009
- 3- شريف الدشوني (2005): قضايا التنمية في السودان، دار عزه للنشر والتوزيع
- 4- ميشيل تشوسودوفيسكي (1998): عولمة الفقر، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، سطور للنشر والتوزيع.

المراجع الإنجليزية:

- 1-Ali, A.A.G., (2005), The Challenges of Poverty Reduction in Post-Conflict Sudan; Arab Planning Institute , Kuwait
- 2-Ali, Ali A/Gadir. (1985) “Economy in Disarray”, Itchaca Press, London
- 3- Sen, A.K., (1999), Development as Freedom; Anchor Books, New York
- 4- Ha-Joon Chang, and others (2004): Rethinking Development Economics, Wimbledon Publishing Co.
- 5-Mabior, J. Garang de (1981): Identifying Selecting and Implementing Rural Development in the Jonglei Project Area, Southern Region,

الهوامش

¹ انظر development as freedom: Sen, Anchor books 2000 من أهم المنتقدين لنظرية الرفاه الاجتماعي النيوكلاسيكية التي ترى أن الرفاه يعتمد على المنفعة التي تترتب على إستهلاك السلع والخدمات. ولم تقف مساهماته في هذا المجال على نقد أساسيات نظرية الرفاه فحسب بل هدفت إلى إيجاد بديل فلسفي



مقتع. ويعتبر كتابه "التنمية صنو الحرية" تلخيصاً مكثفاً لأهم هذه المساهمات في تطبيقها على قضايا التنمية. **تتلخص الفكرة المحورية لمساهمات سن في أنه "يمكن النظر إلى التنمية على أنها عملية لتوسيع الحريات الحقيقية التي يتمتع بها البشر".** انظر ايضا لمقال علي عبدالقادر إقتصاديات التنمية وسودان مابعد النزاع، الإقتصادي السوداني على شبكة المعلومات http://sudaneseconomist.com/start_3_023.html

² انظر مقال اسامة عبدالرحمن النور رؤية مجده في تاريخ كوش الثقافي 5

³ ورقه غير منشوره للكاتب بعنوان:مدخل لتحليل الخطاب الكولونيالي: معركة كرري وثورة 1924

⁴ انظر مقال محمد سعيد القدال ثورة 1924 بعيون ياباني جريدة الصحافه العدد 5297مارس 2008 والمقال هو مقدمة كتبها القدال لكتاب مهم بعنوان: «علي عبد اللطيف وثورة 1924م: بحث في مصادر الثورة السودانية. وتولى مركز الدراسات السودانية في القاهرة نشره في العام

1997م، للباحثه اليابانية يوشيكو كوريتا

⁵ جاك دريدا: يجب أن يسهر جنون ما على الفكر حوار فرانسوا إوالد ماغازين ليترير العدد 286-1991 ترجمة محمد ميلاد- مسارات فلسفية.

⁶ محمد سعيد القدال: مداخلة تاريخيه : الانتخابات البرلمانية في السودان (3-4)

⁷ وضح مفهوم التناس العالم الروسي ميخائيل باختين من خلال كتابه (فلسفة اللغة) وعنى باختين بالتناس: الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص - أو لأجزاء - من نصوص سابقة عليها استوى مفهوم التناس بشكل تام على يد تلميذة باختين الباحثة جوليا كرسيفا وقد أجرت كرسيفا استعمالات إجرائية وتطبيقية للتناس في دراستها (ثورة اللغة الشعرية) وعرفت فيها التناس بأنه " التفاعل النصي في نص بعينه" (3) كما ترى جوليا أن " كل نص يتشكل من تركيبية فسيفسائية من الاستشهادات وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى ،

⁸ في الفصل الثاني، من الباب الأول، حول "المبادئ الهادية والموجهات"، المادة (10-1)الدستور الانتقالي لجمهورية السودان 2005

⁹ يركز امارتيا سن ، في مقدمة كتابه development as freedom أنه إرتكز على 5 محاضرات كان قدمها في الفترة من خريف 96 وحتى نوفمبر 97 فيمقر البنك الدولي، بواشنطن.

¹⁰ ورقة للكاتب بعنوان: الشباب وإتفاقية السلام :دور غائب ومهام مؤجلة قدمت في العام 2006 لورشة نظمتها منظمة علم بعنوان الشباب إتفاقية السلام

¹¹ انظر تقرير التنمية الانسانية العربية 2009

12

¹³ انظر علي عبدالقادر: مؤشرات قياس المؤسسات جسر التنمية العدد العدد ستون فبراير 2007

¹⁴ انظر علي عبدالقادر سبق ذكره

¹⁵ هناك صعوبة لفهم هذه النتائج ربما لاسباب تتعلق بصياغة المؤشرات التي تم إستخدامها

¹⁶ تقرير التنمية الانسانية العربية 2009

* محمد أحمد محمود أبو عبده، باحث في التخطيط التنموي، وقضايا الصراع.

